السُخرية الهادفة
في شعر صعاليك العصر الأموي
دراسة موضوعية

م.م. وسام حاتم زويد

جامعة سومر – كلية التربية الاساسية

ملَخْص البحث

يهدف هذا البحث إلى دراسة فن من الفنون الأدبية ألا وهو فن السخرية ، فقد ساعدت الظروف السياسية والاقتصادية والاجتماعية على بروز ادب السخرية في شعر صعاليك العصر الأموي ، ذلك لكون هذا الفن يستطيع الشاعر من خلاله أن يعبر عن كل ما يجول في داخله من مشاعر وأفكار ، وكذلك يعبر عن معاناته ومعاناة امته ، وأن السخرية التي وردت في شعر الصعاليك هي سخرية هادفة ، وليست سخرية بقصد اللهو وإملاء الفراغ والضحك ، بل إنها كانت تهدف إلى كشف مظلومية المجتمع في ذلك العصر ، وإلى فضح سياسة السلطة الأموية وما خلفته من فوضى اقتصادية وتفكك اجتماعي بين الفرد وقبيلته ، فالسخرية إذن سلاح أتخذه الصعاليك لقهر واقعهم المرير ، فأخذوا يصورون هذا الواقع وينقدونه بهدف اصلاحه ومعالجته ، وبهذا كشفت لنا السخرية عن قناع الصعاليك الثائر على كل قيم الظلم الطبقي والاجتماعي والسياسي .

وقد اعتمدت في هذه الدراسة على المزاوجة بين المنهج الوصفي والمنهج النفسي من أجل اضاءة الموضوع بشكل أكثر مقسماً اياه لمبحثين الأول (السخرية من القبيلة) بسبب موقفها المتخاذل تجاه الصعلوك ، والثاني (السخرية من السلطة وأساليبها) التي انعكست سلباً على الواقع حينذاك وفي جميع الأصعدة .

Abstract

This study aims to sutdy one of the literary arts, art of humor or iron. There are political, economic and social circumsatire ances helped fo prevail this art in Al-Saeleek poetry of u mayyad period, because the poet

can express everything that is inside of his feeling and ideas, as well as, he can express his suffering and his peoples, humor that is in Al-Saeleek poetry is a beneficial humor, not only for funning, wasting time or entertaining, it aims to show the opperssion in that era, also to show policy of umaggad authority which cause economic chaos, hatred and contempt between the individual and his tribe. So, humor is like a weapon is taken by Al-Saeleek to show the hard situation that they live, they try to show and criticize this situations so as reform, so humor explores the social, political and class oppression of Al-Saeleek.

This study bases on spiritual and descriptive methodology to clarify the point very well dividing into two chapters, the first one (humor of tribe) and its inclination to Al-Saeleek, the second one (humor of authority) which affect the society, situation and people.

توطئة :-

تُعد السخرية أداة من أدوات الهجاء وذلك بما تسببه من ألم في نفسية المهجو ، فالعلاقة بين السخرية والهجاء هي علاقة الجزء بالكل إذ لم تكن السخرية يوماً غرضاً شعرياً مستقلاً عن الهجاء ، إنما هي أسلوب في الأداء الهجائي تطور بتطور الهجاء لأنها أداة من أدواته وجزء منه[١] .

ومع إنها جزء من فن الهجاء إلا أن لها خصائصها وطبيعتها التي تميزها عن غيرها من فنون الهجاء وطبيعتها التي تميزها عن غيرها من فنون الهجاء إذا صح التعبير ((فالسخرية فن له خصائصه وطبيعته إلا أنه لا يخرج عن كونه هجاء))[٢] .

فالسخرية إذن هي السلاح الفاعل للهجاء وبدونها يتحول الهجاء من فن وابداع إلى مجرد تراشق وشتم وسباب ، وهذا ما أكده (أبو الحسن الجرجاني) عندما قال ((فأما الهجو فأبلغه ما جرى مجرى الهزل والتهافت وما أعترض بين التصريح والتعريض ، وما قربت معانيه وسهل حفظه وأسرع علوقه بالقلب ، ولصوقه بالنفس

فأما القذى والإفحاش فسباب محض ، وليس لشاعر فيه إلا إقامة الوزن وتصحيح النظم))[٣]

فالأدب الساخر هو نبض حياة الأمم فلا يخلو منه أدب أمة حيّة ، وهو دائماً يسعى إلى الإصلاح وإبراز مشاكل الأمة ، يتوهج كل ما زادت عليه الضغوط ويفرز لنا ابداعاته كلما هبت المعاناة على شاطئه الابداعي .

إذن فالسخرية تتنوع أهدافها بتنوع الحياة المعاشة لكن ما لا يقبل الجدل أن أسماها وأعلاها هو ذلك النوع الراقي الذي يستطيع به المبدع أن يقف على جراحات الأمة يطببها ويخرجها مما هي فيه .

والوصول إلى هذه الأهداف أمر صعب يتطلب مقدرة عالية وموهبة جبارة ، لذلك وجدنا أن الأدب الساخر لا يكون في ابداعات المبدع إلا بعد نضوج تجربته الشعرية يقول (أدونيس) ((الأدب الساخر لون صعب الأداء يتطلب موهبة خاصة وذكاء حاد وبديهة حاضرة))[٤] .

فالسخرية هي الأداء الأكثر مضاء من أدوات الهجاء والفن الأعلى رسوخاً من فنون الهجاء لما تتركه من أثر عميق وما تحدثه من هزة قوية في نفسية المهجو مما يجعل أثرها يستمر ومفعولها أقوى.

وقد تكون السخرية عدائية أحياناً ، وتصحيحية وناقدة وإصلاحية أحياناً أخرى ، وغير ذلك من الأهداف الراقية لمثل هذا النوع الأدبي ، ولعل سخرية صعاليك العصر الأموي جاءت حاملة لراية الإصلاح والنقد البناء ، أي ليست سخرية إضحاك أو ابتذال ، بل هي سخرية هادفة ترتقي وترتفع على مثل هذه المواقف ((ولا تقف أهداف السخرية عند إضحاك الآخرين أو الترويح عنهم أو قطع أوقات فراغهم للتسلية ، فتلك رؤى سطحية مبتذلة ، وهي للسوقة والعامة ، لكن السخرية الفنية لها أهداف تربو على ذلك))[٥] .

فقد كان هؤلاء الصعاليك قد تبنوا أهدافاً سياسية واقتصادية واجتماعية واضحة من خلال سخريتهم ، حيث تمثلوا بوضوح مواطن الضعف والانحراف في السياسة الأموية ، فضلاً عن الحياة الاقتصادية التي كانت تسودها الفوضى وعدم التوازن والمساواة ، وكان هذا الاختلال يعود إلى سوء الإدارة الاقتصادية وعدم التعامل بروح المساواة والعدالة مع جميع أفراد المجتمع إلى درجة جعلت النساء تتعامل بأسلوب ساخر مع فقراء المجتمع كما في قول (طهمانُ بنُ عَمْرُ الكِلابيُّ) من : {الطويل}

تَقُولُ ابْنَةُ الطَّائِيّ : مالي لا أرى بكفيكَ مِنْ مالٍ يَكَادُ يَلِيْقُ[٦]

وكذلك قول (الأحيمر السعدي) من : {الطويل}

تُعِيّرني الإعدامَ والبَذْو مُعْرِضٌ وسَيْفِي بأموالِ التَّجارِ زَعيمُ[٧]

وهكذا تحول حوار المرأة وأسلوبها الساخر إلى صياغة تحفز الصعاليك على المخاطرة والمغامرة من خلال تفجير الطاقة الحركية في داخلهم واستنهاض هممهم

أما في الجانب الاجتماعي فقد حاول الصعاليك من خلال سخريتهم توجيه النقد لقبائلهم التي تخلت عنهم علها تهب لنصرتهم والوقوف معهم في مقارعة السلطة الأموية .

ولعل ما تقدم يجسد لنا رأي (قحطان التميمي) حيث يقول ((السخرية في الشعر طريقة تعبيرية متطورة توسل بها الشعراء لنقد الاوضاع السياسية والاجتماعية والسير الفردية والنيل منها بأسلوب يترفع عن الشتيمة ، والسباب المحض ، ويتنزه عن القذف والإيغال في الفحش ورفث العقول))[٨].

وإننا نجد في تعريف (قحطان تميم) بعض الميزات التي يتجه البحث لإثباتها ، والوقوف عليها كأساس في دراسة السخرية الهادفة في شعر الصعاليك ، وذلك عندما جعل قحطان تميم السخرية أداة إصلاح يهدف من خلالها الأديب الساخر إلى توجيه أصابع النقد ، ولا يفرق بين كبير ولا صغير ، ولكن هذا النقد ليس نقداً تجريحياً يهدف من ورائه إلى التندر ، وإبراز العيوب للتشفي فقط ، وإنما هو نقد بناء بأسلوب يترفع فيه الأديب عن سطحية العوام أو تندر الجهال ليقول من خلاله وهذا الموقف نجده ماثلاً أمام عين كل أديب سخر أدبه لخدمة مجتمعة وجعل من نفسه حارساً أمنياً لكل قيم أمته .

المبحث الأول : السخرية من القبيلة

لقد أملت الحياة على الإنسان ضرورة الانتماء إلى جماعة بشرية ، والانتماء حاجة جوهرية لا يمكن بدون تحقيقها تأمين احتياجاته المادية والروحية الأمر الذي يدفع إلى تصور أن هذه الحاجة الضرورة تشكل الأساس الملائم لتفسير ارتباط الإنسان العربي بالقبيلة بالرغم من ميله المفرط إلى الحرية .

فارتباطه بالقبيلة يعطيه الأمان والشعور بالانتماء الجذري[٩] ، ذلك كون القبيلة كانت تمثل في أعراف المجتمع حينذاك كل شيء ، إضافة إلى أن الصلة بين الشاعر والقبيلة هي صلة (النصرة المتبادلة) التي أملاها واجب الانتماء القبلي القائم أساساً على آصرة النسب ، بل كانت القبيلة ملزمة بنصرة أي فرد ينتمي إليها إذا ما لحق به أي ضرر[١٠] ومن هنا غدت المصلحة المشتركة أداة من أدوات التوحيد وذلك لأن الوضع الاجتماعي كان ((يجعل الفرد للقبيلة والقبيلة للفرد))[١١]

ولكن الأمور بين الشاعر وقبيلته لا تسير دوماً على هذا المسار الإيجابي وكما يشتهيه كل منهما ، فقد تتعكر أجواء الصفاء بينهم فتتحول إلى مواقف مؤلمة يكون فيها الشاعر يائساً من القبيلة فيعبر عن ذلك اليأس بقصائد مستوحاة من تلك العلاقة المتوترة التي نشأت بينه وبين قومه[١٢] .

ولعل أول الخذلان الذي واجهه صعاليك العصر الأموي هو خذلان القبيلة التي خلعتهم ، حيث وجد الصعاليك انعدام (الناصر) الاجتماعي- القبيلة - والذي يقف بالمقابل لنصرة السلطة الجائرة التي كانت السبب المباشر في تشردهم ، وهذا الخذلان كان بسبب خوف قبائلهم من بطش بني أمية وظلمهم ، وإن قبائلهم كانت تخشى أن تتعرض إلى الانتقام من جانب الدولة[١٣] .

ونتيجة لتنكر القبيلة لهم التي هي تمثل ((الوحدة الاجتماعية التي يقوم عليها كيان المجتمع))[١٤] داخلهم شعور بالإحباط وعدم الانتماء والفقدان ، وبهذا فإن عدم وقوف القبيلة بجانب الصعلوك أصبح دافعاً للسخرية من القبيلة والتشهير بها .

إضافة إلى ذلك أن قبائلهم مالت إلى أحياء قانون جاهلي ألا وهو قانون الخلع الذي عمدت إليه لنفس الدوافع التي حملت القبائل في الجاهلية إلى اللجوء إليه ويبدو أنها مالت إلى استخدام هذا القانون استخداماً واسعاً وأنها تشددت في تطبيقه وتنفيذه بحيث كانت تتنكر لخلعاها أشد التنكر وتتنصل من جرائرهم كل التنصل ، مما جعل الصعاليك الأمويين يشكون في أشعارهم مر الشكوى من سوء معاملة قبائلهم لهم وقسوتها عليهم حتى ليصمها بعضهم بالجور والتقصير، وحتى ليهددها بالخروج عنها والعيش في الصحراء حيث أرض الله الواسعة وحيث المكان الذي لا يذل في الإنسان[١٥] . ومن خير ما يصور ذلك قول الخطيم المحزري من :{الطويل}

بنِي ظالـــــمٍ إن تَظْلِمُونـي فَإنَّنِي ... إلى صالِحِ الأَقْوامِ غَيْرُ بَغِيْضِ
بَنِي ظالمٍ إن تمنُعوا فَضْلَ ما بِكُمْ ... فَإنَّ بساطي في البِلادِ عَرِيْضُ
فَإنَّ المِعا لَمْ يَسْلُبِ الدَّهْرُ عِزَّهُ ... بهِ العَلَجانُ المُرُّ غَيْرُ أرِيْضِ[١٦]

فهو ينذر عشيرته ويحذرها لعلها تكف عن ظلمه وتهب لنصرته ، وإلا فهو يؤمن بأن تركها والابتعاد عنها خير له من الإقامة بينها ذليلاً مظلوماً فأرض الدهناء لا تزال موجودة وهو يفضل الحياة فيها عزيزاً كريماً مع صعوبة العيش بها ، وتعذر أسباب الرزق فيها ويظهر أن عشيرته لم تستمع إلى إنذاره ، ولا أقامت وزناً لتحذيره بل تمادت في ازورارها عنه ، وظلمها له[١٧] ، مما جعله يسخر منها سخرية لعلها تعود إلى صوابها وتهب إلى لنصرته .

ومن هنا نجد أن تمسك الشعراء الصعاليك بالقيم الفردية أدى بالضرورة إلى تراجع شعورهم بالشخصية القبلية وقيمها ، فهم يجدون أنفسهم بسبب من طبيعتهم النفسية القائمة على التمرد والاعتداد الشخصي في موقع الضد لأعراف المجتمع القبلي السائدة وتقاليده وقيمه ، يرونها قيماً بالية وقيوداً ينبغي تحطيمها من أجل إعلاء شأن الحرية الفردية وقد انعكست رؤاهم وأفكارهم هذه على شعرهم الذي عبر بوضوح وصدق عن مضامين المبادئ والقيم التي آمنوا بها وقاتلوا في سبيلها وعاشوا من أجلها .

ولعل أبرز ما في نتاجهم الشعري هو التحلل من الشخصية القبيلة التي حلت محلها شخصياتهم الفردية فجاء شعرهم مغايراً تماماً من حيث الأفكار والمعاني والطرائف عن الشعر الذي يدور في فلك القبيلة[١٨] . ولعل قول القتال الكلابي خير من يجسد ذلك حينما عبر عن إهمال وتقاعس قبيلته عن مساندته حتى ذلل فيها ، وهان عليها وشاع خبر تخليها عنه إذ يقول من : {البسيط}

يا ليتني والمُنَى ليست بنافعةٍ لمالكٍ أو لحصنٍ أو لسَيّارِ
نْ معشرٍ بقيت فيهم مكارِمُهُمْ إن المكـــارِمَ في إرثٍ وآثارِ
طِوالُ أنضيةِ الأعناقِ لم يجدوا ريح الإماء إذا راحت بأزفارِ
لا يتركون أخاهُمْ في مُودّأةٍ يسفي عليه دليكُ الذلّ والعار
ولا يفرون والمخزاةُ تَقرعُهُم حتَّى يُصيبوا بأيدٍ ذاتِ أظْفارِ[١٩]

فسخرية القتال من قبيلته واضحة من خلال اتهامها بالجبن والضعف والخوف من القبائل الأخرى أو من السلطان ، إنه لا يؤمن بهذه المثل الجديدة التي أمنت بها وانصاعت إليها سعياً وراء الأمن والهدوء والاستقرار والبعد عن المشاكل والاقتتال بل يؤمن بمثل الجاهلية وما كانت تقوم عليه من العصبية القبلية وما كان يستعر بسببها من الحروب[٢٠] .

ومن أجل ذلك أخذ يتمنى ويمعن في التمني لو كان لا ينتمي إليها بل إلى (مالك أو حصن أو سيار) الأصلاء الأقوياء الأشداء الذين لا يتخلفون عن الاستنصار لأبنائهم في الشدائد والمحن بل يطيرون إليهم خوفاً من الخزي والعار بل هم يتوارثونها أباً عن جد ، ويحملون صفات تميزهم عن صفات أبناء قبيلته الذين وصفهم بالجبن وفرارهم أمام عدوهم في ساحة الوغى ، لذلك فالمخازي تلاحقهم وتقرع أبوابهم ، وحينما يتغنى الشاعر ويمدح خصال - بني فزارة - فإن لهذا دلالة تعبر أو تكشف عن نمو وانسجام العلاقة الإنسانية بين الشاعر وانتمائه الجديد فهو يثبت لهم كل الصفات الإيجابية التي يفتخر بها الفرد الذي ينتمي إليهم وهو موقف يعكس من ناحية أخرى حالة التوتر بينه وبين أبناء قبيلته الذين يتصفون بقيم سلبية - بالنسبة له - يرفضها ويتمرد عليها .

وفي نص آخر اعتمد (القتال الكلابي) أسلوب الهجاء المقذع والشتيمة الجارحة في مخاطبة عشيرته ، لأنها تبغضه دائماً لكثرة جناياته ، فضلاً عن كون أبنائها لم يهبوا لإغاثته والاستشفاع له من سياط الموت بعد حادثة (رداد) مما جعله يصف رجالها بصفات لا تتوفر إلا في أخس الرجال كما في قوله من :{الطويل}

إذا ما لَقِيتُمْ راكباً مُتَعمِّمـــاً فقُولُوا لـــهُ : ما الرّاكِبُ المُتَعَمِّمُ
فإن يَكُ مِنْ كَعْبِ بن عبد فإنَّـه لَئيمُ المحيَّـــا حالكُ اللونِ أدْهَمُ
دَعوتُ أبا كعبٍ رَبيعةَ دَعـوةً وفَوْقي غَواشي الموتِ تُنْحي وُتْنجُمُ

ولَمْ أَكُ أدْري أنَّهُ ثُكْلُ أُمّــهِ إذا قِيلَ للأحرارِ في الكُرْبةِ اْقُدُموا
فَلَو كُنْتَ مِنْ قَومٍ كِرامٍ أعـزَّةٍ لحامَيْتَ عَنِّي حينَ أحْمَى وأضْـرَمُ
دَعَوْتُ فَكَمْ أسْمَعْتُ مِنْ كُلِّ مُؤْدنٍ قَبيحِ المُحَيّــا شانهُ الوَجْهُ والفمُ
سوى أنَّ آل الحارثِ الخَيرِ ذبَّبُوا بأعْيَــطَ لا وَغْـلٌ ولا مُتَهضَّمُ
ألا إنَّهم قَوْمي وقومُ ابنِ مالـكٍ بَنو أُمِّ ذِئبٍ وابــن كَبْشَةَ خَيْثَـمُ
ولكِنَّما قَوْمي قُماشةُ حاطــبٍ يُجمعِّها بالكَــفِّ واللّيلُ مُظْلــمُ[٢١]

فقد كشف النص بشكل واضح وصريح عن سخرية وانتقاد الشاعر لقبيلته والتشهير بها بل الهجوم عليها ، ذلك لأن قبيلته (بني كلاب) لم يقفوا معه في حادثة (رداد) - كما هو الحال في الحوادث الأخرى - مما جعله يَصِمُ قبيلتهُ وسادتها باللؤم والجبن ، وينفيهم عن المروءة ويجردهم من صفاتهم الحميدة من الأنفة والحمية والنجدة ومما جعله يصفهم بأقبح الصفات من قصر في أعضاء الجسم وتشويه في الخلقة ، مما لا يتوفر إلا في أخس الرجال وأبعدهم عن الشجاعة والإباء ، ومن ثم وصف تخاذل أبناء قبيلته وخورهم وضعفهم وإنهم أصبحوا غير قادرين على الدفاع عنها لذا فإنه لا مكان في قبيلته لقيم النجدة والنخوة والشهامة العربية بعد أن ذهبت ريحها وقوتها - بدليل تشبيه قومه بقماشة الحاطب - أي أنها أصبحت غير قادرة على إنجاد الملهوف وطالب الحماية الذي يستصرخهم ويستجير بهم كما تفعل القبائل المحافظة على هيبتها[٢٢] .

كما ينحى (السمهري العكلي) باللوم على قبيلته التي أهملته وتخلف أبنائها عن زيارته في السجن وما يزال إحساسه بتقصيرها وسخطه عليها يتضخمان في نفسه حتى يود لو أنه لا ينتسب إليها كما في قوله من :{الطويل}

ألا لَيْتَنِي مِنْ غَيْرِ عُكْلٌ قَبيلَتْي ولَم أَدْرِ ما شُبَّانُ عُكْلٍ وَشِيْبُهــا
قبيْلةٌ لا يَقْرَعُ البابَ وَفْدُهَــا بخيرٍ ولا يَأْتِــي السَّدادَ خَطيْبُهـا
فَإنْ تكُ عُكْل سَرَّها ما أصابني فَقَدْ كُنْتُ مَصْبُوباً على مَنْ يَرِيْبُهـا[٢٣]

فالسمهري في أبياته يسخر من قبيلته (عكل) سخرية هادفة ، إذ يحاول أن يستثير حمية (عكل) لعلها تهب لنصرته ومساعدته ، إلا أن موقف قبيلته المعيب دفعه إلى انتقادها انقاداً مراً ولاذعاً كونه لا ينسجم مع القيم العربية الأصيلة ، وبهذا فقد أعلن براءته من شبانها وشيبها لتخلفهم عن زيارته وتقديم العون والمساعدة له[٢٤] ، ولعل من أشد المواقف إيلاماً في نفس الإنسان عندما يشعر بأن حبال الود قد انقطعت أوصالها بينه وبين قومه ، وكذلك إحساسه العميق بأنهم أبعد الناس إليه مودة ، إذ لا توجد علاقة إنسانية تملأ قلب الشاعر بالشعور بالانتماء والتوحد بالآخر (القبيلة) فموقف القبيلة من الشاعر في ظل محنته وخذلانها له لا يخلف له شعوراً بالتوحد أو الانتماء إليها والفخر بها بل العكس ، نجد أن موقفها يؤدي أثراً معادياً ومضاداً (للأنا)

وقد أدى هذا الموقف إلى فقدان الأنا الشعور بالقبلية ، فهي تتمنى لو لم تنتمي إلى قبيلتها عكل ونلاحظ أن هذا التمني يقع في أطار المستحيل وعدم أمكانية تحوله إلى واقع .

وفي البيت الثالث يقر الشاعر حقيقة مرة يراها هو واقعية ألا وهي أن قبيلته سرها ما أصابه من بؤس وشقاء لما لاقاه في غياهب السجن ، وهو موقف أثار في نفسه الحزن لأنه لم يتوقع أن يكون في هذه الدرجة من السوء أي أنها تفرح وتسر للمصيبة التي حلت به في وقت كان هو أشد المدافعين عنها وعن مواقفها وشتان بين الموقفين .

وفي نص آخر يرسم لنا (الخطيم المحزري) صورة تقاعس قبيلتهُ (بني محزرٍ) وخذلانها له وهو في سجن (نجران) أي جعلته يواجه الموت وجهاً لوجه مما جعله يسخر منها ومن أبنائها بألفاظ يعي أبعاد تأثيرها في نفوسهم إذ يقول من :{الطويل}

بني محزرٍ هـل فيكمُ ابن حَميّةٍ يقـومُ ولو كانَ القيـامُ على جمـرِ
بما يؤمنُ المولى وما يرأبُ الثأي وخيرُ الموالي من يريشُ ولا يبـري
كمـا أنا لو كـان المُشرَّدُ منكم لأبليتُ نُجْحاً أو لقيتُ على عُـذرِ
لأعطيتُ من مالي وأهلـي رهينةً ولا ضاق بالإصلاحِ مالي ولا صدْري
بنـي محزرٍ من تجعلـون خليفَتي إذا نابكم يومـاً جسيماً مـن الأمـرِ
بني محزرٍ كنتم وما قـد علمتُـمْ كفاريـةٍ خرقاءَ عَيّتْ بمـا تفري
بني محزرٍ أن تكنسِ الوحْشُ بينكم وبينـي وتبعُدْ من قبوركمُ قبـري
فقد كنـتُ أنهى عنكـم كل ظالـمٍ وأدفـعُ منكـم باليدينِ وبالنحـرِ

مُعَنـىّ إذا خصُـم أدلَّ عليكـمُ بني محـزرٍ يوماً شددتُ لـه أزريبحـدّ سِنـانٍ يُسْتَعَـد لمثلـــه ورقـم لسانٍ لا عيـيّ ولا هــذْرِ[٢٥]

فالخطيم في هذه الأبيات يخاطب قومه (بني محزرٍ) بأسلوب العتاب المر الممزوج بشيء من السخرية الهادفة لأن قبيلتهُ لم تتخذ الموقف الملائم المناسب الذي كان يرجوه منها وهو أطلاق سراحه ودفع الفدية وهذا الأسلوب يعبر عن رهافة نفسية الشاعر وعمق إنسانيته وانتمائه[٢٦] حتى أنه لم يهاجم قبيلته بشكل حاد ومباشر لأن العصبية القبلية القائمة على الفطرة كانت تفعل فعلها في داخله الروحي ، كما نلمس في الوقت نفسه موقفاً انتقادياً ضمنياً لم يصل إلى درجة الهجاء المقذع والشتيمة الجارحة - كما رأينا سابقاً في أبيات السمهري وموقفه تجاه قبيلته - بل هو يرغب أن يكون قريباً من قومه ويحرضهم ويستثير نخوتهم لكي ينجدوه ويفكوا أسره حتى يتمكن من العودة إليهم والعيش في كنفهم بعدهم جذره الأساس وكينونته الأولى فضلاً

عن كون القبيلة ((هي حكومته التي تضمن له العدالة الداخلية والحماية الخارجية))[٢٧].

فالشاعر يخاطب قومه (بني محزر) في البيت الأول ويسألهم في هذه الصيغة الاستفهامية (هل فيكم ابن حميّة) موقف نقدي ضمني أقرب إلى عتاب المحبين منه إلى التعريض الجارح والساخر ، فهو يريد أن يتأكد هل هناك بين أبناء قومه من يمتلك الخصال العربية الأصيلة كونه ابن حمية ينجد الملهوف ويقوم لنصرته بسرعة قوية حتى لو كان هذا القيام يسبب أذىً وضرراً له كما لو أنه واقف فوق الجمر موظفاً أداة التشبيه الكاف في رسم صورة تشبيهية لها دلالتها الواضحة .

ثم يعكس في البيت الثالث الدور أو الموقف ليكون صورة مضادة واضحة جداً بين موقف الشاعر تجاه قبيلته وموقف قبيلته منه ، فضلاً عن وعي الشاعر وقصده إلى ابراز موقفه بهذه الصورة لكي يقدم للمتلقي رؤية شعرية واضحة بين موقفه وموقف قبيلته منه .

وبهذا نلمح بكل وضوح موقفاً ساخراً وناقداً ضمنياً لقبيلته التي لم تعطِ الفدية والمال لإنقاذ أحد أبنائها وبين موقفه هو الذي يؤكد فيه غيرته واستعداده للبذل والتضحية من أجلها[٢٨] وبذلك يعد موقفه أكثر عطاءً وتقدماً من موقفها .

ثم ينتقل الشاعر بنا نقلة فنية وفكرية أخرى واضحة إذ يستغل موقف قبيلته ليخاطب قومه بوعي تام وبصورة تدل على أنه رجل له مكانة متميزة بين قومه ، ثم يلجأ في خطابه المفعم بالصدق والصراحة إلى تذكيرهم بدوره الفاعل ، فإذا لم يحاولوا إنقاذه فإنهم سيجهدون أنفسهم في البحث عن رجل يخلفه ويحمل مواصفاته ويتمتع بخصاله فيما إذا أصابتهم النوائب وتعرضوا للأحداث الجسام[٢٩]

ثم يواصل انتقاده الساخر لقومه قائلاً لهم أنتم قوم حمقى لا تعرفون ولا تفقهون ماذا تعملون مشبهاً إياهم (كفارية حمقاء) لا تعرف بما تشق وتفري ، هل هو صالح أم فاسد .

كما نلاحظ أن الشاعر وظف ظاهرة التكرار لتؤدي معنى يعتلج في نفسه حيث كرر اسم قومه (بني محزر) مما يؤكد الدلالة على عمق انتمائه لقومه من ناحية وسخريته وانتقاده للظواهر السلبية التي يعانون منها من ناحية أخرى .

وتطالعنا أبيات (القتال الكلابي) وهي تحمل في طياتها دلالات اليأس الممزوج بالسخرية من القبيلة إذ يقول من: {الكامل}

هَلْ مِنْ مَعاشِرَ غيرِكمْ أدْعُوهُمُ فلَقَدْ سَئِمْتُ دُعاءَ يالكِلابِ
ولقدْ لَحنتُ لكُمْ لكَيْما تَفْقَهُوا وَوَحْيتُ وَحْياً ليسَ بالمُرتابِ[٣٠]

وعند تأملنا لبيتي (القتال) ندرك غاية الشاعر، فهو يستفهم هازئاً ومحقراً بشأن كليب فمنذ البيت الأول يعلن الشاعر عن سخريته من قبيلته بأسلوب هادف مجسداً مللله وسأمه منهم بقوله (هَلْ مِنْ مَعاشِرَ غيرِكمْ أدْعُوهُمُ) ، وهذا دليل على

خيبة أمله فيهم جميعاً كونه ملّ الاستغاثة بقبيلته لطول ما استنجد بها ولا من مجيب ولكثرة ما استصرخها ولا من سامع لذلك بدأ يسخر منها بأسلوب هادف كونه يعلم علم اليقين أنه لا نصير له غيرها وأن حقه أن تهب لمؤازرته لتخلصه مما هو فيه من المشاكل ، إلا أن قبيلته رفضت الاستسلام لآرائه المتهورة وأبت التورط معه في جرائمه ، لأنها ألفت الحياة الهادئة المسالمة ، وآثرت المصالحة والمعافاة وتمسكت بالنظام وانقادت له[٣١]

لذلك بدأت الأنا تبحث عن ملاذ آخر غير قبيلتها تلجأ إليه من أجل أن تثبت نفسها وكيانها ، لأن حاجة الأنا إلى الأمن والانتماء والاعتراف الاجتماعي يمثل جوهر تحركها وسلوكها وهذا يتفق مع ما قاله (ماركس) من أن ((ليس وعي الناس هو الذي يحدد وجودهم بل العكس أن وجودهم الاجتماعي هو الذي يحدد وعيهم))[٣٢] .

ونتيجة لتنكر القبيلة له داخله شعور بالإحباط وعدم الانتماء لأن الإنسان بطبعه يحتاج إلى الشعور بأنه ((مقدر ومعترف به ، وبأنه مستحسن لدى أعضاء الجماعة التي يعيش فيها وبدون هذه المشاعر يميل إلى الشعور بالنقص))[٣٣] .

وبذلك فقد أعلن يأسه المصحوب بالأمل في داخل نفسه لأنه ((لولا أن الناس "يأملون" لما كان ثمة "يأس" على الإطلاق : فاليأس اعتراف ضمني بوجود "الأمل" وإقرار خفي بحاجة الإنسان إلى المزيد من "الأمل" للتغلب على حالة اليأس))[٣٤] .

ومن تتمة الحديث عن مظاهر السخرية الهادفة عندهم أنهم لم يكونوا يؤمنون بحل المنازعات القبلية بالوسائل السلمية كأن يأخذ أهل القتيل دية قتيلهم ، وإنما كانوا يفضلون الأخذ بثأر قتلاهم ذلك كون الثأر عرف قبلي أملته طبيعة البيئة على العرب ، والبحث عن القاتل لقتله مهما طال الزمن لأن الدم لا يغتسل في عرفهم إلا بالدم[٣٥] ، ومن أوضح ما يدل على ذلك قول (القتال الكلابي) حين أخذ يسخر من قبيلته كونهم آثروا الدية على الأخذ بالثأر من (بني جعفر) حيث قال من :{الطويل}

أفي كُلِّ يومٍ لا تــزالُ كتِيبةٌ ... عُقَيْلِيَّـةٌ يَهْفُـو عليكـم عُقَابُهـا
وأنتم عديدٌ في حديـدٍ وشفرةٍ ... وغابِ رماحٍ يكُسف الشمسَ غَابها
يُسَقَّى ابن بِشْرٍ ثم يَمسحُ بَطْنَـهُ ... وَحْولي رجالٌ مَا يسوغُ شرابُهـا
لهم جَزَرٌ منكـم عبيطٌ كأَنَّـهُ ... وقَاعُ الملوكِ فَتْكُهَا واغتصابُهـا
فما الشرُّ كلَّ الشرَّ لا خيرَ بعدهُ ... على النَّاسِ إلا أن تَذِلَّ رقابُهـا
نِساءُ ابنِ بشرٍ بُـدَّنٌ ونساؤُنا ... بَلايـا عليها كلَّ يومٍ سِلابهـا[٣٦]

فالشاعر في هذه السخرية الهادفة يبدو كمن ينتقم لنفسه من خلال رسم صورة تجسم الصفات المهينة التي تحط من شأن خصمه (القبيلة) ، وفي الوقت نفسه يحرض

قومه للأخذ بثأرهم ، لذلك نجده يخاطب قبيلته بلهجة عنيفة مستنكراً عليها هذا الموقف المتخاذل ، وبدأ يلومها ألذع اللوم ويوبخها أقذع التوبيخ ، ويُحمسُها أشد التحميس لكي تثور لكرامتها وشرفها وتهب للأخذ بثاراتها عند (بني جعفر) الذين اعتدوا عليها لأنه كان يرى في قعودها وضعفها أمام خصومها وإيثارها للسلم على الحرب شر البلاء الذي يصمها بالعار والخزي ويفضي بها إلى المذلة والهوان[٣٧] .

ومن هنا نجد أن استنكاره لتصرف زعماء قبيلته واستصغاره لهم كان واضحاً كما هو الحال في البيت الأول والثاني أي أكل يوم تغزوكم بنو عقيل وترفرف راياتهم فوق أحيائكم وانتم أصحاب سلاح وعدة ورماحكم إذا اجتمعت كأنها غاب ملتف يحجب وجه الشمس ، فضلاً عن عددكم الكبير وفيكم الفرسان المدججون بكل أنواع السلاح[٣٨] .

وبهذا فإنه لا يطيق أن يغير عليهم المغيرون وينكل بهم المنكلون قاتلين لأبنائهم ومحتلين لأرضهم وأن يجبنوا عن دحر العدوان عنهم وصد الأذى والمكروه عن أبنائهم ونسائهم ثُم يواصل الشاعر انتقاده لأبناء قبيلته كما هو واضح في البيت الثالث والسادس مقارناً بين ابن بشر الذي هنأ بطعامه وشرابه وبين رجال قبيلته الذين لا يهنئون بمشرب أو مأكل حتى يأخذوا ثأرهم ، وكذلك بين نساؤهم اللواتي وصفهنَّ بالبلايا لكثرة نواحهن وحزنهنَّ مجسداً ذلك بلفظه (السلاب) وهي ثياب تلبس في أوقات الحزن ونساء ابن بشر اللواتي وصفهن بالبدن أي ضخام من السمنة كناية عن الشبع وترف العيش .

وفي المعنى ذاته عير (القتال الكلابي) أخواله وسخر منهم عندما قتل (بني جعفر) رجلاً منهم فأستبطأ القتال أخواله (بني العجلان) في الطلب بثأرهم من (بني جعفر) وجعل يحضهم ويحرضهم غير أنهم لم يأخذوا بثأرهم وإنما قبلوا الدية فعيرهم بما فعلوا[٣٩] كما في قوله من :{الطويل}

إذا مـا لقيتمْ عُصْبَـةً جَعْفرِيَّةٍ ... كرهتمْ بني اللكعاءِ وَقْعَ السَّنابكِ
فلستـمْ بأَخْوالي فلا تصلبنَّني ... ولكنَّما أمّـي لإحدى العَوَاتِـكِ
قصارُ العمادِ لا ترى سَرَواتُهُمْ ... مع الوَفْدِ جَثَّامُونَ عند المباركِ
قُتِلْتُـمْ فلمـا أنْ طَلَبْتُمُ عَقَلْتُمُ ... كذلـكَ يُؤتـى بالذَّليلِ كذلـك[٤٠]

وكذلك قول (عبيدالله بن الحر الجعفي) وهو يسخر من قبيلة الأزد كونهم لم يثأروا لـ (مسعود بن عمرو الأزدي) كما في قوله من :{الطويل}

أَلم تَر قيساً قيس عَيلانَ برقَعتْ ... لحاها وبَاعتْ نَبْلَها بالمغــازلِ
وما زِلْتُ أرجو الأزدَ حتى رأيتها ... تُقَصّرُ عن بنيانها المُتطــاولِ
ومَقْتَلُ مَسْعُودٍ ولم يثأروا بــه ... وصارتْ سُيوفُ الأزدِ مثل المناجل
وما خيرُ عَقْل أورث الأزدَ ذلـةً ... تُسَبُّ به أَحياؤهُـمُ في المحافـلِ
على أَنهمْ شُمْطٌ كــأن لحاهُمُ ... لحاءُ تُيـوسٍ حُلّيتْ عن مناهـلِ[٤١]

إن توظيف (عبيدالله بن الحر) لأسلوب الاستفهام في هجائه لقبيلة الأزد كما هو واضح في البيت الأول ، لأن من المعاني التي يخرج إليها الاستفهام هي السخرية بكل معانيها من تهكم وتحقير واستهانة ، لذلك جاءت سخريته في هذه الأبيات حاملة للتندر والإيلام لدرجة أنه جعل المتلقي في حيرة من جنس هؤلاء القوم ، وهذا يعطي أبعاداً جديدة للصورة مما يسبب لهم ألماً أكبر من الوصف المباشر بعدم الرجولة وغيرها من الصفات المشينة التي جسدتها هذه الأبيات ، والتي حطت من منزلتهم ، كما أن المساحة النفسية التي يتركها ذلك الاستفهام تعزز من وقع الهجاء على القوم وتزيد من شعورهم بالنقص .

وإلى مثل ذلك يذهب (الأُحيمر السعديُ) وهو يسخر من قبيلته التي ولت أمورها وقيادتها إلى ضعافها وطغامها فتمزقت وحدتها وهُزمت أمام أعدائها الذين غزو بلادها وفتكوا بها وإنه سعيد بما أصابها ومسرور لما لحق بها من الهزيمة والخزي والعار كونها رفضت الاستجابة لندائه والعمل بنصيحته[٤٢]إذ يقول من :{الطويل}

ونُبِّئْتُ أنَّ الحَيَّ سَعْداً تَخاذَلُوا حِماهُمْ وهُمْ لو يَعْصِبُونَ كَثيرُ
أطاعُوا لِفِتيانِ الصَّباحِ لِئامَهُمْ فَذُوقُوا هَوانَ الحَرْبِ حَيْثُ تَدورُ
خَلا الجوفُ مِنْ قُتَّالِ سعدٍ فما بها لمُسْتصْرِخٍ يَدْعُو الثُّبُورَ نَصِيرُ[٤٣]

تشير هذه الأبيات بشكل واضح وصريح جداً إلى انتقاد الشاعر لقبيلته وسخريته منها والتعريض بها ، حيث يكشف البيت الأول أن الشاعر لم يكن يعلم ما يدور من أحداث في قبيلته (الحي سعداً) إلا أن الأنباء وصلت له عن طريق الآخرين وهو ما عبر عنه في توظيفه للفعل المبني للمجهول (نُبِّئْتُ) وموظفاً الأداة (لو) التي تحمل دلالة معنوية خاصة (للتمني) وهذه الأنباء كشفت عن تخاذل أبناء قبيلته وخورهم وضعفهم في القتال ، وأنهم أصبحوا غير قادرين على الدفاع عن حماهم ثم يلجأ الشاعر إلى كشف مواطن الضعف في القبيلة وإلى توضيح السبب المباشر الذي أدى إلى ذلك وهو تفرق كلمتهم وعدم توحد قواهم (وهُمْ لو يَعْصِبُونَ كَثيرُ) .

وفي البيت الثاني يقدم سبباً آخر لهزائمهم وهو سماعهم أو سيرهم وراء لئام القوم وعدم استنادهم إلى ذوي العقل الراجح والحكيم في قبيلتهم ، وكل ذلك كان مدعاة لسخرية (الأُحمير) من قبيلِتهُ .

أما في الشطر الثاني من هذا البيت فتلوح لنا نزعة التشفي واضحة في نبرة الشاعر فيما آلت إليه قبيلتهُ من أوضاع فردية لا يحسدهم أحد عليها فهو يتجاوز في عجز البيت حالة اللوم أو العتب أو الانتقاد أو التعرض إلى حالة أشد إيلاماً وقسوة وهي حالة التشفي والتمني الواضحة بكلامه (فَذُوقُوا هَوانَ الحَرْبِ) وأراد من خلال التشفي إبلاغ قومه بأنهم يستحقون حالة الهوان التي وصلوا إليها لأسباب مر ذكرها ثم يضيف الشاعر سبباً آخر لحالة الخذلان التي مرت بها قبيلته وهو عصيانها لكلامه

وعدم أخذها برأيه وتوجيهه ونصحه وإطاعتهم لضعاف النفوس والرأي فكانت النتيجة واضحة إذ ذاقوا هول الحرب ومرارتها .

وأخيراً وفي البيت الثالث يقرر الشاعر حقيقة مرة ألا وهي خلو منطقة (الجوف) من مقاتلي قبيلته (سعد) الأشداء ، لذا فإن لا مكان في قبيلته لقيم النجدة والنخوة والشهامة العربية ، وذلك من خلال نفيه لسمات وصفات عربية يفترض أن تميزهم كما تميز عموم القبائل العربية كالنخوة وإغاثة الملهوف وإكرام الضعيف والدفاع عن الجار .

وفي الاتجاه ذاته يقول (عبيد بن أيوب) ساخراً من قبيلته بعد أن رأى أن استكانة قبيلته ومذلتها وهوانها يعود إلى تمزقها وجبن أبنائها وانقسامهم وتقاعسهم إزاء الملمات والكوارث[٤٤] ، حيث قال من :{الطويل}

إذا مـا أرادَ اللهُ ذلَّ قَبِيْلَـةٍ رَماها بتشْتِيْتِ الهَوَى والتَّخاذُلِ
وأَوَّلُ عَجْزِ القَوْمِ عَمَّا يَنُوبُهُمْ تَدافُعُهُمْ عَنْـهُ وطُولُ التَّواكُـلِ
وأَوَّلُ خُبْثِ الماءِ خُبْثُ تُرابِهِ وأَوَّلُ لُؤْمِ القَـوْمِ لُؤْمِ الحَلائِـلِ[٤٥]

كما سخر الصعاليك من أبناء قبائلهم كما هو واضح في هذين البيتين (للقتَّال الكلابي) اللذين يسخر فيهما برجل من عشيرته ويقذفُهُ بالبخل الشديد حتى إنه ليتوفه على زاده بمفرده بينما أفراد عشيرته جياع قد برّح بهم الجوع ، فإذا هو سمين ، وإذا هم نحفاء ضعفاء ، ويرميه أيضاً بأن التقتير والشح طبيعة فطر عليها ولن يتحول عنها ، ومن الطبيعي أن هذا السلوك لا يمكن أن يرتضيه صعلوك مثل (القتَّال الكلابي) ، لأنه لا يؤمن بالبخل ، بل يؤمن بالكرم وبالشمائل الحميدة من النبل والعِفَّة والمروءة[٤٦] كما في قوله من :{الكامل}

يا أيُّها العَفِـجُ السَّمِينُ وقوْمُـهُ هَزْلى تجُررَّهُمْ ضِباعُ جَعارِ
أَطْعِمْ – ولستَ بفاعلٍ – ولتَعْلَمَنْ أنَّ الطّعامَ يَحورُ شرَّ مَحارِ[٤٧]

ويتضح مما تقدم أن الشعراء الصعاليك مثّلوا في تجربتهم الشعرية والحياتية تفردهم وتضادهم مع بعض القيم السائدة في مجتمعهم القبلي ، وكذلك مع القيم الاجتماعية المتوارثة ، لذلك نجدهم قد جنحوا إلى هذا التوظيف والوصف الدقيق في رسم ملامح الموقف الكلي لقبائلهم ، لكي يتخذوا من ذلك سبيلاً لانتقادها والسخرية منها ولومها والتعريض بها وهجائها ، آملين أن يكون ذلك سبباً في استنهاض هممها كي تهب لنصرتهم وإغاثتهم وإنقاذهم مما كانوا يعانون منهُ .

المبحث الثاني : السخرية من السلطة وأساليبها

إنَّ الفكرة الأولى في مفهوم السلطة الإسلامية أنها وجدت لحماية الضعفاء بمساندتهم في حالات ضعفهم[٤٨] ، وهذا ما أفصح عنه (جان وليام لابيار) في تعريفه للسلطة قائلاً : ((هي الوظيفة التي تقوم على سنَّ القوانين وحفظها وتطبيقها ، ومعاقبة من يخالفها وهي تعمل على تغيرها وتطويرها كلما دعت الحاجة ، إنها الوظيفة التي لا غنى عنها لوجود الجماعة .. ، لاستمرارها ومتابعة نشاطها))[٤٩]

كما عبر عنها عالم الاجتماع (ماكس فيبر) بالقول : ((تعني السلطة إمكانية فرض انصياع مجموعة محددة من الأشخاص لأمر له محتوى معين))[٥٠] .

إلا أن هذه الوظيفة السياسية في الدولة الأموية انحرفت عن مسارها إذ مثلت مصالح قطاع واحد بالمجتمع وهم الأمويين ومن يقف معهم بينما ضيقت السلطة الأموية مادياً وسياسياً على القبائل التي لم تقاتل في خدمتها أو التي انحازت إلى خصومها السياسيين فكان أكثر الصعاليك من تلك القبائل[٥١] .

فقد كانت الحياة الاقتصادية في عهد بني أمية تسودها الفوضى ، وعدم التوازن والمساواة وكان هذا الاختلال يعود إلى سوء الإدارة الاقتصادية وعدم التعامل بروح المساواة والعدالة مع جميع أفراد المجتمع فضلاً عن التمييز بين القبائل وصرف الأموال الكثيرة وتنوع السبل والطرائق التي كانت تصرف فيها من دون ضابط أو رقيب مما أدى في حالات كثيرة إلى أهدار المال العام ، فكان ذلك سبباً حاسماً في ظهور الشعراء الصعاليك ، وجميعهم من فقراء المجتمع .

ويمكن القول هنا أن ظهور الشعراء الصعاليك في العصر الأموي هو أحد تجليات التمرد على الدولة وقد تبنى هؤلاء الشعراء موقفاً مضاداً للدولة من خلال تبني أهدافاً سياسية واضحة ، ولعل أهمها هو إسقاط الدولة الأموية وإشادة دولة سماتها الأساسية تحقيق العدل والمساواة بين أفراد المجتمع وبين الصعاليك أنفسهم . فالصعاليك السياسيين تمثلوا الحياة السياسية ومفاسدها تمثلاً دقيقاً ومن أجل ذلك((كانوا أشد حقداً ، وأعنف تمرداً وأكثر خطراً))[٥٢] .

وقد لجأت هذه الفئة من الصعاليك إلى أساليب متعددة في الإعلان عن ضيقها وتبرمها وسخطها من الوضع الاقتصادي والسياسي اللذان كانا سائدين في ذلك العصر ، ولعل من أهم هذه الأساليب هو أسلوب السخرية الهادفة حيث جاءت أشعارهم تنطق بهذه السخرية في محاولة منهم لفضح الفساد الاقتصادي والسياسي الذي نخر جسد الدولة الأموية ، ومن ثم إسقاطها كونهم استيأسوا من عدل الدولة الأموية وعلى كل المستويات[٥٣] .

وواضح أن (مالك بن الريب) واحد من أشهر الصعاليك الأمويين الفقراء الذين أنشأتهم الأحوال الاقتصادية المختلة والذين تمثلوا بوضوح مواطن الضعف والانحراف في السياسة الأموية[٥٤] ، وقد عبر هؤلاء الشعراء عن معاناتهم الاجتماعية إذ انتقدوا وسخروا من السياسة الاقتصادية للدولة الأموية القائمة على

التمييز والظلم الاجتماعي ومنهم (مالك) الذي تعبر أبياته عن شعور ذلك الإنسان الذي ينتمي إلى مجتمع وسلطة ودولة أولاً ولا يحس بأن دولته توفر له الأمن وترعاه وتحميه بل إنها لا توفر له أبسط مستلزمات الحياة والعيش الكريم ولا تساويه مع أبناء مجتمعه في الحقوق والعطايا ، ولا شك بأن هذه السياسة التميزية الظالمة تؤثر في الفرد وتدفعه إلى السخط والتمرد ضد السلطة ، ذلك لأن لفظة الدولة تثير في ذهننا فكرة السلطة ((السلطة الفعالة والمحمية والمنظمة))[٥٥] .

لذا فإن من البديهي أن يتطلع الشاعر الصعلوك إلى حمايتها وعدالتها وهو ما أفتقده الشاعر (مالك) في السلطة الأموية ونظامها الاقتصادي الذي كان له التأثير الشديد في أسلوبه وسلوكه ومواقفه ، فهو ينتقد ويسخر من الدولة التي تستخرج الأموال من الشعب وتبخل عليه بماله من نصيب مفروض فيها كما هو واضح في قوله من : { الطويل }

أَحَقّاً على السُّلطانِ أمَّا الذي لَهُ فَيُعْطَـى وأمَّـا ما يُرادُ فَيَمْنَعُ
إذا ما جَعَلْتُ الرَّمْلَ بَينِي وبَيْنَـهُ وأَعْرَضَ سَهبٌ بينَ يَبرينَ بَلْقَعُ فَشأنَكُمُ
يا آلَ مَـروانَ فاطْلُبُوا سِقاطِي فَما فيه لباغِيـهِ مَطْمعُ[٥٦]

ومن خلال هذه الأبيات يتجسد أمامنا الموقف الانتقادي والساخر الذي يبديه الشاعر ضد الحاكم وسلطته وهو انتقاد واضح ومكشوف لا لبس فيه وتمتزج فيه المرارة بالسخرية إذ يعمد الشاعر إلى كشف المفارقة في سلوكه ، فهو يأخذ ما يريده من هذه الفئة المسحوقة من أموال وضرائب إلا أنه في الوقت نفسه لا يعطيها أي شيء من حقوقها .

ونتيجة لموقف السلطان فإن الشاعر يرفض الخضوع لمشيئته كما يتبين لنا ذلك في البيت الثاني ، فهو يفضل العيش في البراري والقفار وتحمل المشاق والمعاناة على أن لا يبقى ذليلاً ومهاناً في كنفه ، ونلاحظ هنا دائماً نبرة التحدي ضد السلطان حينما يقول له الشاعر "إذا ما جعلت الرمل بيني وبينه" مؤكداً إن " نواحي البحرين" ستكون حاجزاً طبيعياً يحول بينهما ويمنع السلطان من الانتقام منه والقبض عليه .

أما البيت الثالث فترتفع نبرة السخرية الهادفة والتحدي ضد السلطة الأموية فهو يخاطب آل مروان قائلاً : إذا أردتم أن تتعقبوني وتحاولون القبض علي فهذا شأنكم ولكنكم في كل الأحوال لن تحصلوا على شيء مني لأني فقير ولا أملك شيئاً سوى ما أحمله من التمر - سقاطي - وهو مالا يطمح فيه الحاكم .

أما أبيات (عقيبة بن هبيرة الأسدي) فتبين لنا مدى إدراك الشاعر للظلم والفساد الاقتصادي ، فهو يوجه خطابه مباشرة إلى معاوية ، بنداء مرخم (معادي) ليكشف لنا الآلية الخاصة التي يمارسها الحكام ولاسيما في عهد (يزيد) وأبيه ، لذا كانت هذه الأبيات رد فعل قوي لموقف الدولة ، وهو موقف ضدي واضح لكنه لم

يتطور إلى مستوى الدعوة للعنف ضدهما بل بقي في إطار الشكوى ، حتى أن شاعرنا يستصرخ معاوية ويطالبه بأن يعدل بين أبناء قومه ويرحمهم ويرفع الظلم عنهم كما في قوله :

معاوي إنّنا بشرٌ فاسْجحْ فلسنا بالجبال ولا الحديـد
فهبها أمةً هلكت ضياعاً يزيدُ أميرُها وأبو يزيـد
أكلتم أرضنا فجردتُموها فهل من قائمٍ أو من حصيدِ[٥٧]

ونلاحظ من قراءتنا الأبيات المتقدمة أن الشاعر الصعلوك لجأ إلى أسلوب الاسترحام الممزوج بالسخرية في مخاطبته لرمز السلطة الأموية - معاوية – مجسداً ذلك من خلال انتقاده للسلطة بشكل حاد مبيناً ظلمها للناس ولاسيما الفقراء منهم ، فهو يتهمها علانية بأنها تسطو على أرزاق الناس وأموالهم وزرعهم وغلالهم (أكلتم أرضنا فجردتُموها) وأنها تجردهم من كل ما يملكونه إلى درجة الصفر حيث لا حاصد ولا حصاد ، ولا زارع ولا زرع .

كما اتسمت ألفاظ الشاعر بالغضب والصدق والانفعال النفسي الشديد ، فضلاً عن كونها تنتقد وتسخر من موقف (معاوية) و (يزيد) وما يمارسانه من عنف وظلم ، فكان صوت الشاعر هو تعبير حي عن فئة اجتماعية مسحوقة هو واحد منها .

وبهذا فقد عبر الصعاليك عن المساوئ الاقتصادية والاجتماعية أوضح تعبير وصوروها أصدق تصوير فهذا (الأُحيمر السعدي) أخذ يسخر من نفسه في إشارة منه إلى بيان سوء عدالة السلطة الأموية ، إذ رأى نفسه يائساً لا ناقة له ولا بعير بينما غيره يملك الإبل الكثيرة بمعنى أن الثروة لم تكن مقسومة قسمة عادلة في مجتمعهم وإنما كانت الأموال مكدسة عند نفر من الناس بينما كان غيرهم فقراء معوزين كما في قوله من : { الطويل }

وإنّي لأَسْتَحْيي مِنَ اللهِ أنْ أُرَى أَطوفُ بحَبْلٍ ليسَ فيهِ بَعِيْرُ
وأَنْ أَسْأَلَ المَرْءَ اللئيـمَ بعيرَه وبُعْرانُ ربّي في البلادِ كَثيرُ[٥٨]

فهذين البيتين يحملان نقداً لاذعاً وصورة واضحة لحياة الفاقة التي يعيشها الصعاليك والطبقة المعدمة منطلقاً من المعاناة التي حملتها هذه الطبقة ومالها من دور في بروز تلك الشخصية الثائرة ، وقد استطاع الشاعر أن يلجم جماح ثورته بأسلوبه الساخر وينتقد الأوضاع بصورة يفهمها مبيناً أن أوضاع المجتمع حينذاك تعج بالمتناقضات بحيث طبقة تستغل أخرى وتسلب خيراتها .

وفي نص آخر يفصح (مالك بن الريب) بأسلوب ساخر هادف عن فساد السياسة الأموية التي أتبعوها وبالأخص مع القبائل المضرية كونها أتسمت بالغدر والكيد وغيرها من الصفات المشينة كما في قوله من:{البسيط}

لَوْ كُنْتمُ تُنكرونَ الغَدرَ قُلْتُ لَكُمْ يا آلَ مَروانَ جارِي مِنْكُمُ الحَكَمُ
وأَتَّقِيْكُمْ يَمِينُ اللهِ ضاحِيـــــةً عِنْدَ الشُّهُودِ وقَدْ تُوفِي بهِ الذِّمَمُ
لا كُنْتُ أُحْدِثُ سَوْءاً في إمارَتِكُمْ ولا الـذي فاتَ مِنِّـي قَبْلُ يُنْتَقَمُ
نَحنُ الذيـنَ إذا خِفْتُـمْ مُجَـلِّلَةً قُلتُـمْ لَنا إنَّنا مِنْكُـمْ لِتَعْتَصِمُوا
حَتَّى إذا انْفَرَجَتْ عَنْكُمْ دُجُنَّتُها صِرْتُمْ كَجَرْمٍ فَلا إلٌّ ولا رَحِـمُ[٥٩]

ويبدوا لي من خلال هذه الأبيات إن سخرية الشاعر وانتقاده لسياسة السلطة الأموية كانت واضحة ، حيث أكد في مطلع أبياته المذكورة أنه لا يعادي بني أمية رغبة منه في العداء ، وهو لا يرغب في الإساءة إلى إمارتهم وملكهم ولا يود الانتقاص والانتقام منهم من دون سبب وإنما يجازيهم كيداً بكيد لما عرف من خيانتهم وغدرهم وتقلبهم ، أي أن الشاعر يتصرف ويوجه سلوكه وأفعاله وفقاً لما يلاقيه من الآخر (السلطة) فهو إذن يتأثر بالآخر وكيفية تعامله معه[٦٠] .

ثم عقد الشاعر مقارنة بين موقف قبيلته وموقف السلطة كما هو واضح في البيتين الرابع والخامس مبيناً أن الآخر (السلطة) لا يفزعون إليه وإلى أمثاله من فتيان تميم ولا يتذكرون ما يربط بعضهم ببعض من وشائج القربى والدم إلا حين تشتد بهم المحن فإنهم يستنجدون بقبائل تميم المضرية ويطلبون منهم العون والمساعدة قاطعين لهم أغلظ الأيمان بأنهم سوف لن يعودوا إلى سياستهم المتقلبة ، وسيواصلون دعمهم والاعتماد عليهم حتى إذا ما أستتب الأمر وتغلب الأمويين على أعدائهم وتجاوزوا الأخطار التي أحاطت بدولتهم تنكروا للعهود والمواثيق التي قطعوها على أنفسهم وعادوا إلى ديدنهم القديم القائم على ظلم قبائل بني تميم وإبعادها ، وكأن الغدر السياسي أصبح أمراً مشروعاً تنصهر أمامه المواثيق المعهودة وسياستهم الانتهازية المتقلبة التي لا تحفظ العهود ولا تقيم وزناً لصلات القربى مؤكداً ذلك بقوله (وأتقيكم يمين الله ضاحية) أي يخشى غدرهم حتى وسط النهار وأمام أعين الناس .

وبهذا رسم لنا الشاعر صورة ساخرة هادفة عن السياسة المذكورة حين وصفها بالغدر والخيانة وانعدام المروءة ، فضلاً عن كونها قدمت المصلحة على كل ما عداها من القيم وأثارت العصبية القبلية إذ مالت إلى القبائل اليمنية وقربتهم وعادت القبائل المضرية وأبعدتهم .

أما (الحجاج بن يوسف الثقفي) فقد كان له نصيب أيضاً من هذه السخرية ، فهذا (مالك بن الريب) يسخر ويستهزئ (بالحجاج) والي العراق وبجبروته فيصغر من شأنه في هجاء مقذع غير آبهٍ به وبما يمثله ، ينبش ماضيه في الذل والعبودية مؤكداً حقارة نسبه ، ملقياً باللوم على بني أمية الذين رفعوا من شأنه عندما ولوه الإمارة[٦١] كما في قوله من : { الطويل }

فباسْتِ أبي الحجّاج واسْتِ عجوزِهِ عُتَيِّدُ بُهمٍ يَرْتَعِـي بِوهـادِ

فلولا بنو مروانَ كان ابن يُوسفٍ كما كانَ عَبداً مِنْ عَبيدِ إيـادِ
زمـانَ هُـوَ العَبْـدُ المُقِرُّ بذلّـةٍ يُراوحُ صبيانَ القرى ويغادِي[٦٢]

وفي اعتقادنا أن هدف مالك هنا لا يحقر (الحجاج) فقط ، ولا يقذع في هذا التحقير ، إلا ليرمي بسياسة بني أمية مذكراً إياه بأنه عبدٌ مملوك ، فوصوله إلى الحكم لا يلغي هذه الحقيقة المرة ولا يعني تغير طبيعته وجبلته ولا انسلاخه عن أصله النكد .

وبما أن العقيدة قد أضاءت نفس (مالك بن الريب) في الطور الثاني من حياته فإذا هي ملتهبة متوقدة تريد أن تقاتل في سبيل الله وتجاهد المشركين ولا تصبر عليهم ، فقد حدث أن توانى (سعيد بن عثمان بن عفان) عن مناهضة (الصغد في سمرقند) ، وآثر العافية والسلامة على القتال والجهاد ، ويظهر أن (سعيداً) لم يلق بالاً إليه الأمر الذي أغضب مالك وأسخطه وحمله على التنديد به بأسلوب ساخر هادف واتهامه بالجبن والعجز وضعف العقيدة حتى لقد نفاه عن والده وجرده من خصاله من الشجاعة وجودة الرأي وصحة العزم[٦٣] ، كما في قوله من : { الطويل }

ازِلْتَ يَوْمَ الصُّغْدِ تُرْعَدُ واقفاً مِنَ الجُبنِ حَتَّى خِفْتُ أن تَتَنَصَّرا
وما كانَ في عُثْمانَ شَيْءٌ عَلِمْتُهُ سِوَى نَسْلِهِ في رَهْطِهِ حِينَ أَدْبَرا
ولَولا بَنُو حَربٍ لَطُلَّتْ دِماؤُكُمْ بُطُونَ العَظايا مِنْ كَسِيْرٍ وأَعْوَرا[٦٤]

ومن خلال هذه الأبيات يتضح أن الشاعر يذم ويسخر من (سعيد بن عثمان) لجبنه أمام (الصغد) فيقول ، إنك كنت (يوم الصغد) ترعد وتنتفض من الخوف والجبن حتى خفت عليك أن تترك دينك وتتنصر أي تصبح نصرانياً ، ثم يتابع ذمه لسعيد فيقول : كنت أعلم أن عثمان(رضي الله عنه) ليس فيه شيء يعيبه إلا أهله وعقبه حين فر مجسداً ذلك بلفظة (أدبرا) . ولولا بنو حرب - رهط معاوية - لهدرت دماؤكم فأنتم برص بعضكم كسير وآخركم أعور .

وهكذا مضى يرميه بقلة الفضل واليمن لكي يحمسه لعله ينقُّض على (الصغد) ويتغلب عليهم ويفتح (سمرقند) ، مذكراً بالانتصارات السابقة التي سجلوها في يوم (طاسي) ويوم (النهر) ، ذينك اليومين اللذين قاتل هو وغيره من المجاهدين فيهما قتالاً شديداً حتى حققوا النصر وسحقوا أعدائهم ، ومازال به يحرضه ويحمسه حتى خرج عليهم وفتح مدينتهم[٦٥] .

أما (عبيدالله بن الحر الجعفي) ذلك الصلعوك السياسي الطامع الذي كان لا يقاتل لديانة كونه كان متقلباً متردداً متغيراً لايستقر على رأي ولا يثبت على عقيدة ، ومما ينبئ بذلك أنه كان في أول عهده تقياً ديناً مجاهداً ثم أنغمس بالسياسة بعد مقتل عثمان (رضي الله عنه) وأصبح عثمانياً ، وهذا التشتت في النفس والتردد في الرأي والتمرد على الأمراء لابد أن يكون ورائها أسباب خلفتها ونمتها ومكنت لها أطماع سياسية لدى

(ابن الحر) ، فهو يطمع في أن يتبوأ مركزاً ممتازاً ويكون من رجال الحكم البارزين ولذلك بايع (المختار الثقفي) فلما خيب أمله وعاداه كما عاداه الأمويون لم يجد سبيلاً إلى الفوز بما يريد إلا بالتقرب إلى (عبدالله بن الزبير) فأنحاز إليه ثم مع أخيه (مصعباً) الذي ساعده في تثبيت حكمهم في العراق[٦٦] .

إذن فقد أبدى الشاعر أكثر من دليل على سلامة نيته في علاقته مع السلطة وممثليها إلا أن الجانب المقابل لم يقف منه مثل هذا الموقف ، لذلك أخذ ينتقد ويسخر من خصومه بشكل صريح ، وأستخدم في تصوير خصومه مجموعة من الصور الشعرية المتحركة بأسلوب ساخر فهم عنده كالمعز الذي تحنى خشية الذئب بالصخر ، وقد جمع فيها كثيراً من إمارات الخوف والتذلل لهذه المعزى الخائفة اللائذة ، ومنح نفسه صورة الجرأة فجعلها كالذئب كما في قوله من : { الطويل }

سَلُوا ابنَ رُوَيْمٍ عن جلادي ومَوْقِفِي بإيوان كسـرى لا أُولِّيهمُ ظهري
كُرُّ عليهم مُعْلَماً وتَـرَاهُمُ كَمِعزَى تَحَنَّى خشيةَ الذئب بالصَّخر
وبَيَّتُّهُمْ في حِصْنِ كِسْرَى بن هُرْمُزٍ بمشحـوذةٍ بيـضٍ وخَطِّيـةٍ سُمْر
وأجْزَيْتُهُم طَعْنـاً وضَرْبـاً تَراهُمُ يَلوذون منَّـا مَوْهناً بِـذُرا القصر[٦٧]

ففي هذه الأبيات يصف الشاعر حروبه مع (مصعب بن الزبير) التي يتحدث فيها عن تمزيقه لجيش (يزيد بن الحارث بن رؤيم الشيباني) عامل (مصعب) على المدائن وكيف أنه فتك به فتكاً ذريعاً حتى تقهقر هو وجنوده أمامه وقد أثخنتهم الجراحات فعاذوا بإيوان كسرى هرباً منه وكأنهم المعزى تفر من الذئب خشية أن يأكلها[٦٨] .

وفي نص آخر يتوعد ويهدد (ابن الحر) (المختار الثقفي) بأسلوب ساخر واصفاً إياه بأنه منافق دجال وكذاب وأنه سيجازيه غارة بغارة وسلباً بسلب ومهدداً إياه بالغزوات التي لا تبقي ولا تذر أحداً من جنوده[٦٩] كما في قوله من : { الطويل }

وَما تَرَكَ الكَذَّابُ من جُلِّ مالنـا ولا الرُّزْقُ من همدان غَيْرَ شريد
أفي الحَقِّ أَنْ يَذْهَبْ ضياعِي شاكرٌ وتَأمَنَ عندي ضَيْعَـةُ ابن سعيد
فـإن لَمْ أُصَبِّحْ شاكـراً بكَتِيبـةٍ فَعَالَجْـتُ بالكَفَّيْـنِ غُـلَّ حَدِيدي
فما أَنـا بابن الحـر إنْ لم أَرُعْهُمُ بخيـلٍ تَعَـادي بالكمـاة أُسـود[٧٠]

وقريب من هذا المعنى تدور قطعته العينية ، إذ يرد فيها على تهديد (ابن الزبير) له منددا به ، ومستخفاً بتهديده ، ومنذراً له بغزوة يطعنه فيها طعنة تودي بحياته ، وما يزال به يستفزه ويسخر منه ويستدرجه لعله يخرج لملاقاته ومنازلته إن كان فيه فضل من شجاعته[٧١] كما في قوله من : {الطويل}

أتاني وعِيدُ ابن الزُّبَير فَلَمْ أُرَعْ وما مِثْلَ قَلْبِـي بالوَعيـد يَرُوع
فـلا تَرْمَيِنِّـي بالوعيـدِ فإنَّنَي سأَتْـرُك ما تَهْوَى وأَنْفَكَ أجْدَع
فإنْ أَنَا لَمْ أسْقطْكَ غَيْضاً بغارةٍ وأصدع ما قد كان بالأمس يرقع

فلا وضَعَتْ عندي حَصَانٌ قِنَاعَها ولا قَادِنـي للنَّاس قَلْـبٌ مُشيّع
سَنَعْلَمُ إنْ مَالَتْ بي الريحُ مَيْلَةً عليـك غداً أَنَّـي أو إياك أَجْزَع[٧٢]

كما لا يستعطف (ابن الحر) (مصعباً) وهو في حبسه لكي يعفو عنه بل يقيم الحجة عليه ويستنكر سياسته ويسخر منها في إبعاده له وشكه فيه وفي دينه ، وتقريبه لسواه مما أضعف حكومته كما في قوله من : {الطويل}

أتطْعنْ في ديني غداةَ أتَيتُكُمْ وللدين تُدْني الباهلّي وحَشْرَجَا
ألَمْ تَرَ أن الملكَ قد شينَ وَجْهُهُ ونبعُ بلاد الله قَدْ صَارَ عَوْسَجَا[٧٣]

وفي موضع آخر يعاتب (ابن الحر) (مصعب بن الزبير) عتاباً لا أدب فيه ولا تلطف ، بل فيه القسوة والتعنيف والتسفيه والسخرية لسياسته مع السخط عليه لأنه لم يحتفل به بل أبعده وقرب غيره واعتمد عليهم على نحو ما يظهر في قوله من : { الطويل }

بـأيّ بـلاءٍ أمْ بأَيـَّة نِعْمَـة يُقَدَّم قلبـي مُسْلـمٌ والمهلبُ
ويُدْعَى ابنُ مَنْجوفٍ أَمامي كأَنَّه خَصِيٌّ أتَى للماء والعِير يشربُ
وشيخُ تميم كالثّغامـةِ رأسُهُ وغيـلان عنّـا خائفٌ مُترَقّبُ[٧٤]

وفي الاتجاه ذاته عاتب (ابن الحر) (عبدالله بن الزبير) عتاب ممزوج بالسخرية لما لاقاه من أخيه (مصعب) من جفاء وإهمال فهو لا يقدمه ولا يؤثره بل يؤخره ويفضل عليه غيره ممن لا خير فيهم له وأنه يحتجب عنه ولا يسمح له بالدخول عليه وذكره بما له من فضل عليهم وما أسداه من خير لهم ، فقد كان أحد القواد الذين أبلوا بلاء حسناً في القضاء على (المختار) بدعمه صعاليكه وكان يظن أن (مصعباً) سيجازيه أعظم الجزاء لمساهمته الفعالة في الإطاحة (بالمختار) وقتله ، ولكنه أزور عنه ولم يقلده ولاية من الولايات ولا عملاً من الأعمال ولا عامله معاملة طيبة ، فأحس أنه هُضم حقه وأُنكر فضله[٧٥] كما في قوله من : {الطويل}

بَلـغْ أَميـرَ المؤمنيـــــن رسالـةً فلستُ على رأيٍ قبيحٍ أوَارِبُـهْ
فَفي الحق أَن أُجْفَى وَيجَعْلَ مصعبٌ وَزيرَيْه من قد كُنْتُ فيه أُحَارِبُهْ
فكيـف وقـد أَبلَيْتُكُمْ حَقّ بَيْعَتي وَحقّـي يُلَـوَّى عندكم وأُطالِبُهْ
وأبلَيْتكُمْ مـالاً يُضَيَّـــــعُ مِثْلُـهُ وآسَيْتكم والأَمْر صَعَبٌ مَراتبُهْ
فلما آسْتَنَارَ الملكُ وانقادتِ العِدَى وأُدْرَكَ من مالِ العِراقين رَاغِبُهْ
جَفَا مصعبٌ عَنّي ولو كان غَيْرَهُ لأَصْبَحَ فيما بيننـا لا أُعَاتِبُـهْ
لقد رابني من مصعبٍ أَن مُصْعباً أَرَى كُلَّ ذي غِشٍّ لنا هو صاحِبُهْ
فَذا قُمْتُ عند الباب أُدخِلَ مُسلِمٌ ويَمْنَعُني أَن أدْخُل البابَ حاجِبُـهْ
وما أَنـــــا إنْ حَلأْتُمُوني بـوارِدٍ على كَدَرٍ قَدْ خُصَّ بالصَّفْوِ شَارِبُهْ [٧٦]

فهذا عتاب يحمل في تضاعيفه فنوناً من القول ففيه التلطف في المخاطبة والتأدب في عرض الحاجة ، وفيه الضيق والسخط والسخرية من السلطة الأموية وقياداتها الذين لم يعرفوا للوفاء وجهاً وإنما اتسمت سياستهم بالخيانة والغدر وعدم الوفاء للذين قدموا لهم ، فقد استهله بمخاطبة (عبدالله بن الزبير) بأنه أمير المؤمنين لكي لا ينفر منه ولا يتغافل عنه ، ثم شرع في عرض قضيته عليه مردداً أنه تحزب لهم وأخلص إليهم في أعقد الظروف وأطرها ، حتى تم النصر لهم وحكموا العراق ، وأصبحوا يجبون خراجه الضخم ، وكان ينتظر بعد ذلك أن يفوا له وأن يحظى عندهم بمنزلة رفيعة كأن يكون وزيراً أو يشارك معهم في رسم سياسة دولتهم ، غير أن مصعباً تشاغل عنه وأساء إليه(٧٧).

إذن يكشف عتاب (ابن الحر) الممزوج بالسخرية (لعبدالله بن الزبير) وأخيه مصعب عن مطامعه وآماله التي كانت تراوده والتي كان يسعى إليها ، إذن انتقاده وسخريته للسلطة كانت مبنية على أهداف ، فهو لم يساعدهم إيماناً بمذهبهم ، وإنما نصرهم لكي يقلدوه المناصب الممتازة ، ولكي يكون رجلاً عظيماً من ذوي الجاه والنفوذ فهو طامع في السلطة ، طامح إلى المركز ، تواق إلى العظمة ، سواء عند (الزبيريين) أو عند (الشيعة) أو عند (الأمويين) ، ولذلك جرب حظه معهم جميعاً ، ولكنه لم يوفق في تحقيق ما يبتغي عند أحد منهم .

وبعد تحليلنا للنصوص وقراءتنا الدقيقة لها توصلنا إلى أن السخرية من السلطة جاءت بهدف فضح السياسة الفاسدة التي أتبعتها السلطة الأموية والتي اتسمت بالظلم والفوضى الاقتصادية فضلاً عن محاولة اسقاطها وتغييرها إذ كان الصعاليك السياسيون يطمحون ببناء دولة العدالة والمساواة بحسب رؤيتهم .

نتائج البحث

١. وجد الباحث أن الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية هي من أهم الأسباب التي أدت إلى افراز ذلك الأسلوب الساخر في أدب الصعاليك .
٢. تنويع الصعاليك للأساليب الساخرة في أشعارهم يعطي دليلاً واضحاً أنهم كانوا متمكنين من استيعاب هذا الأسلوب .
٣. تبين لنا أن السخرية فنّ من الفنون الأدبية التي يستطيع من خلالها الأديب أن يعبر عن مشاعره وآماله ، ويستطيع من خلالها أيضاً أن يرسم توجهاته وأفكاره .
٤. لقد تبنى الصعاليك في سخريتهم أهدافاً سياسية واقتصادية واضحة ، ولعل أهمها هو فضح مفاسد السلطة الأموية السياسية والاقتصادية ومحاولة اسقاطها ، فضلاً عن ايقاظ امتهم من سباتها لتقف في وجه كل من سلبها حقوقها .

٥. إن السخرية التي وردت في شعر الصعاليك هي سخرية هادفة ، هدفها إصلاحي وناقد وبناء ، أي لم تكن سخريتهم لغرض اللهو والعبث والإضحاك وإملاء الفراغ ، بل هي سخرية الناقد المصلح الذي يبرز العيوب للتخلص منها بأسلوب ساخر .
٦. إن السخرية من القبيلة جاءت بقصد محاولة استنهاض همم قبائلهم علها تَهبُ لنصرتهم والوقوف معهم ضد السلطة الأموية .
٧. كما أن في شعرهم الساخر يحملون قضية إنسانية عامة بأبعادها المختلفة السياسية والاجتماعية والاقتصاديۃ

الهوامش

١) يُنظر : اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري ، قحطان رشيد التميمي ، ص[١٢] .
٢) الهجاء الجاهلي .. صوره وأساليبه الفنية ، عباس بيومي ، ص[٢٨٢] .
٣) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، للقاضي علي عبدالعزيز الجرجاني ، ص[٣٠] .
٤) مقدمة الشعر العربي ، أدونيس ، ص[٤١] .
٥) أدب عبدالله النديم ، أحمد يوسف خليفة ، ص[٢٩] .
٦) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي ، د. محمد نبيل طريفي ، ص[٣٤٢] .
٧) م . ن . ، ص[٦٤] .
٨) اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري ، ص[٣٥٦] .
٩) يُنظر : البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام ، د. مؤيد اليوزبكي ، ص[٧٩] .
١٠) يُنظر : القبيلة في الشعر الجاهلي ، د. أحمد إسماعيل النعيمي ، ص[٢٢٦] .
١١) قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر ، عائشة عبدالرحمن ، ص[٣٦] .
١٢) يُنظر : الأمل واليأس في الشعر الجاهلي ، د. كريم حسن اللامي ، ص[١٣٣] .
١٣) يُنظر : الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، د. حسين عطوان ، ص[٥٤] .
١٤) العصبية والدولة (معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي) د. محمد عابد الجابري ، ص[١٦٥] .

١٥) م . ن . ، ص٥٤ .
١٦) شعراء أمويون ، د. نوري حمودي القيسي ، ص٢٦٩ .
١٧) يُنظر : الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، ص٥٥ .
١٨) يُنظر : الثنائيات المتضادة في شعر الصعاليك والفتاك إلى نهاية العصر الأموي ، أطروحة دكتوراه ، مي وليم عزيز بطي ، ص٣٦ .
١٩) ديوان القتال الكلابي ، احسان عباس ، ص٥٥-٥٦ .
٢٠) يُنظر : الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، ص٥٦ .
٢١) ديوان القتال الكلابي ، ص٣٥ .
٢٢) يُنظر : الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، ص١١٣ .
٢٣) شعراء أمويون ، ص١٤١-١٤٢ .
٢٤) يُنظر : شعراء أمويون ، ص١٣١ ، والشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، ص ٦٠.
٢٥) شعراء أمويون ، ص٢٦٠-٢٦١ .
٢٦) م . ن . ، ص٢٤٤ .
٢٧) الشعر السياسي ، أحمد الشايب ، ص٣٥ .
٢٨) يُنظر : شعراء أمويون ، ص٢٥١ .
٢٩) م . ن . ، ص٢٤٤ .
٣٠) ديوان القتال الكلابي ، ص٣٦ .
٣١) يُنظر : الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، ص٨٢-١٧٢ .
٣٢) الأسس جدل الإنسان ، الحرية أولاً وأخيراً ، د. عصمت سيف الدولة ، ص١٧٧ .
٣٣) الشخصية السلمية ، سيدني ، ص١١٤ .
٣٤) المشكلة الخلقية – مشكلات فلسفية ، د. زكريا إبراهيم ، ص٢٦٢ .
٣٥) يُنظر : الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، ص١١٤ ، والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، د. جواد علي ، ٤/ص٣٩٨ .
٣٦) ديوان القتال الكلابي ، ص٣٣ .
٣٧) يُنظر : الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، ص٧٧-١٧٨ .
٣٨) م . ن . ، ص١٧٨ .
٣٩) م . ن . ، ص١١٤ .
٤٠) ديوان القتال الكلابي ، ص٧١ .
٤١) شعراء أمويون ، ص١١٢-١١٣ .
٤٢) يُنظر : الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، ص١١٤ .
٤٣) أشعار اللصوص وأخبارهم ، ص١١٠ .
٤٤) يُنظر : الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، ص١١٤ .

٤٥) شعراء أمويون ، ص[٢٢٣] .
٤٦) يُنظر : الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، ص[١٤٧] .
٤٧) ديوان القتال الكلابي ، ص[٦١] .
٤٨) يُنظر : الشاعر الإسلامي تحت نظام سلطة الخلافة ، د. داود سلوم ، ص[٩] .
٤٩) السلطة السياسية ضرورتها وطبيعتها ، عبدالله إبراهيم ناصيف ، ص[٤٩] .
٥٠) مفاهيم اساسية في علم الاجتماع ، ماكس فيبر ، ص[٩٢] .
٥١) يُنظر : الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، ص[٧٨-٧٩] .
٥٢) م . ن . ، ص[٧٢] .
٥٣) يُنظر : م . ن . ، ص[٧٩] .
٥٤) يُنظر : م . ن . ، ص[١٦٩] .
٥٥) الدولة ، جاك دونديو دوفابر ، ص[٦] .
٥٦) شعراء أمويون ، ص[٣٤] .
٥٧) سمط اللآلي المحتوى على اللآلي في شرح أمالي القالي ، لأبي عبيد البكري الأوبني ، ١/ص[١٤٩]
٥٨) ديوان اللصوص ، ص[٥٨] .
٥٩) شعراء أمويون ، ص[٣٩] .
٦٠) يُنظر : الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، ص[٧٣] .
٦١) يُنظر : ديوان اللصوص ، ص[٣١-٣٢] .
٦٢) شعراء أمويون ، ص[٥١-٥٢] .
٦٣) يُنظر : الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، ص[١٦٧] .
٦٤) شعراء أمويون ، ص[٢٩] .
٦٥) يُنظر : الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، ص[١٦٧-١٦٨] .
٦٦) يُنظر : شعراء أمويون ، ص[٧٢] ، و الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، ص[١٨٥-١٨٦] .
٦٧) شعراء أمويون ، ص[١٠٥] .
٦٨) يُنظر : الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، ص[١٩٣-١٩٤] .
٦٩) م . ن . ، ص[١٨٩] .
٧٠) شعراء أمويون ، ص[١٠٢] .
٧١) يُنظر : الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، ص[١٨٩] .
٧٢) شعراء أمويون ، ص[١٠٧] .
٧٣) م . ن . ، ص[٩٨] .
٧٤) م . ن . ، ص[٩٥] .
٧٥) يُنظر : الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، ص[١٩٢] .

٧٦) شعراء أمويون ، ص٩٤-٩٥ .
٧٧) يُنظر : الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، ص١٩٢-١٩٣ .

المصـادر والمراجـع

١) اتجاهات الهجاء في القرن الثالث الهجري ، قحطان رشيد التميمي ، بيروت ، دار المسيرة .
٢) أدب عبدالله النديم ، أحمد يوسف خليفة ، القاهرة ، مكتبة نهضة الشروق ، ١٩٩٥م .
٣) أشعار اللصوص وأخبارهم ، جمع وتحقيق .. عبدالمعين الملوحي ، دار الحضارة الجديدة - بيروت - ، الطبعة الأولى ، ١٩٩٣م .
٤) الأسس جدل الإنسان ، الحرية أولاً وأخيراً ، د. عصمت سيف الدولة ، دار المسيرة ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٩م .
٥) الأمل واليأس في الشعر الجاهلي ، د. كريم حسن اللامي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٨م .
٦) البطولة في الشعر العربي قبل الإسلام ، د. مؤيد اليوزبكي ، دار الشؤون الثقافية العامة ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٨م .
٧) الدولة ، جاك دونديو دوفابر ، ترجمة د. سموحي فوق العادة ، دار منشورات عويدات ، بيروت - لبنان ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٢م .
٨) ديوان القتال الكلابي ، حققه وقدم له ..احسان عباس ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦١م .
٩) ديوان اللصوص في العصرين الجاهلي والإسلامي ، د. محمد نبيل طريفي ، منشورات دار الكتب العلمية ، بيروت - لبنان ، الطبعة الأولى ، مج١ - مج٢ ، ٢٠٠٤م .
١٠) السلطة السياسية ضرورتها وطبيعتها ، عبدالله إبراهيم ناصيف ، دار النهضة العربية القاهرة ، ١٩٩٣م .
١١) سمط اللآلي المحتوى على اللآلي في شرح أمالي القالي ، لأبي عبيد البكري الأوبني ، نسخة مصححة ومنقحة ومحققة بمعرفة عبدالعزيز الميمني ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ، ١٩٣٦م .
١٢) الشاعر الإسلامي تحت نظام سلطة الخلافة ، د. داود سلوم ، بيروت ، ١٩٨٧م .
١٣) شعراء أمويون ، دراسة وتحقيق ، د. نوري حمودي القيسي ، طبع بمطابع مؤسسة دار الكتب للطباعة والنشر ، جامعة الموصل ، ق١ ، ق٢ ، ١٩٧٦م .
١٤) الشعراء الصعاليك في العصر الأموي ، د. حسين عطوان ، دار المعارف بمصر- القاهرة العصبية والدولة (معالم نظرية خلدونية في التاريخ الإسلامي) د. محمد عابد الجابري ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ط١ ، ١٩٩٤م .
١٥) القبيلة في الشعر الجاهلي ، د. أحمد إسماعيل النعيمي ، دار الضياء للنشر والتوزيع ، عمان ، ٢٠٠٨م
١٦) قيم جديدة للأدب العربي القديم والمعاصر ، عائشة عبدالرحمن (بنت الشاطئ) ، معهد البحوث والدراسات العربية ، مطبعة النهضة الجديدة ، القاهرة ، ١٩٦٦م .

١٧) المشكلة الخلقية – مشكلات فلسفية ، د. زكريا إبراهيم ، دار مصر للطباعة ، القاهرة ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٥م .
١٨) مفاهيم اساسية في علم الاجتماع ، ماكس فيبر ، ترجمة صلاح هلال ، مراجعة وتقديم وتعليق محمد الجوهري ، المركز القومي للترجمة العدد ١٦٧٥ ط١ ، القاهرة ، ٢٠١١م
١٩) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، د. جواد علي ، دار العلم للملايين ، بيروت ، مكتبة النهضة ، بغداد ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٢م .
٢٠) مقدمة الشعر العربي ، أدونيس ، دار العودة ، بيروت ، ط٢، ١٩٧٩م .
٢١) الهجاء الجاهلي .. صوره وأساليبه الفنية ، د. عباس بيومي عجلان ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، ١٩٨٥م .
٢٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه ، للقاضي علي عبدالعزيز الجرجاني ، تحقيق وشرح أبوالفضل إبراهيم علي محمد البجاوي ، المكتبة العصرية ، صيدا ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦م .

الرسائـل والأطاريـح

١. الثنائيات المتضادة في شعر الصعاليك والفتاك إلى نهاية العصر الأموي ، مي وليم عزيز بطي ، أطروحة دكتوراه ، كلية الآداب ، جامعة بغداد ، ٢٠٠٨م .